للوجع مكانٌ في عينيه

عبد الغني المخلافي

شعر

عبد الغني المخلافي: للوجع مكانٌ في عينيه

لوحة الغلاف للفنان الروسي: **أفيتياس خاشاتريان**

كَ تَ بَ للنشر

المحرر العام: **مصطفى الجارحي**

البريد الإلكتروني: kataba2010@yahoo.com

الدار للنشر والتوزيع

المدير العام: **محمد صلاح مراد**

البريـــد الإلكترونـــي eddar_press@yahoo.com
فيـــــس بـــــوك www.facebook.com/eldarpublish

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٢٦٢١٩

الترقيم الدولي: I.S.B.N:- 978-977-702-097-8

وفق بروتوكول تعاون بين داري (كَ تَ بَ) و(الدار) . القاهرة ٢٠١٥

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، أو أي وسيلة نشر أخرى، دون إذن كتابي من (كَ تَ بَ) ومن يخالف ذلك يتعرض لمساءلة قانونية.

للوجع مكانٌ في عينيه

شعر

عبد الغني المخلافي

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٥

الإهداء

إلى عصافير قلبي

مدخل

دعوا مساحةً خضراء مأهولةً بالسلام

أخرسوا ثرثرة البنادق

حتى لا تجفل الطير

وينقطع الغناء

من أفواه العنادل.

لوجه الفرح

أتمنى بشارةً خالدة

وكمًا يزقزق

من التبريكات

بعظمة هذه المعجزة..

أحتضن ما يقابلني

من الأشجار والعصافير

لا أذهب إلى العمل

أبقى في إجازة ممددة..

لوجه الفرح..

أمنح دخلي الشهري..

دون تأنيب

أتجاوز الخطوط الحمراء..

بتبذر

أدعو جميع

الطيور المهاجرة

للغناء والتجمهر..

بنشوة الفوز

أمضي بأقدام عدّاء

كما لو كنت في ذروة سباق.

في المساء

خذيني

إلى ملجأ عينيك الرحيم..

أنا هذا الوجع المتضخم

والغياب المستبد..

في المساء أصير يتيمًا

تتقاذف بي الأرصفة والمقاهي

مع الغرباء..

أتسلى بالسجائر الرخيصة

وأقداح الشاي المعتقة بالحزن..

أنا والأصدقاء الشعراء السكارى

نفشي بالزلات الحميمة لبعضنا..

ومع شيء من الكذب الأبيض

وفنتازية الأدب وقِلّته..

ندير الكلام الفاحش في النساء

بجرأة شبقة،

وخيال رومانسي فاضح..

نطلق أحاديثَ خطيرةً

في أروقة النواميس

والهواء المكهرب،

لو سجلت بعناية

هي أعمق بكثير مما نكتب.

ليل العيد

تلفظني الشوارعُ بشراسةٍ

تبتلعني الأزقةُ دون هضم

أدندن بلحنٍ قديم

كنت قد حفظته

وصفير حزين لا يجدي..

أتأمل المصابيح بصمت

والطرقات لا تخلو

من الغرباء والهوام النشطة..

في ليل العيد..

ذكرى الأهل والوطن

والدماء التي تُسفك هناك

تسيطر على الخواطر

ووجه الحبيبة لم يفارقني..

منذ الحرب والدمار

غاب صوت أمي الذي أشتاقه.

متسول

يسرج قناديل حروفه

في وجه الظلمة

على طرقات الفجر

يقف كعمود النور

يلقي قصائده للعصافير

والزهور المبللة

يوزع أغانيه على كل عابر للحزن

يتسول الضحكة من الوجوه

والفرح المفقود من الملامح.

هوامش

(١)

ثمة قنبلة

داخلي تعتمل

في انتزاعها

انفجارٌ وتشظٍ..

كيف أفسد

فتيلها المؤقت؟

(٢)

بودِّي أخذ قهوتي المرة

في ذلك المقهى

وشراء صحيفتي اليومية

من بائع الحي المتجول

والجلوس إلى القراءة

في تلك الزاوية الحميمة.

(٣)

هذا المساء لم أذهب إلى العمل

أنا طريح التعب

حاجتي شديدة إلى الحبيبة

لا إلى الطبيب والدواء.

(٤)

خواطر تتوارد

وصور لا أستطيع التقاطها

جسدي مع الليل يزداد رجفة

أشعر بلذة الحُمّى

أتكون حُمّى الموت لذيذة؟

(٥)

إنه الليل

وسجائري

والجدران البلهاء

في صمت البيوت

ودمي المسفوك

على الورق.

(٦)

لم تعد تغدو الجمعةُ صاخبةً بالانتشاء..

بعدما صارت تئن بالموتى

(٧)

كيف أُسمعك هذه الأغنية

تحت القصف

والحصار المطبق!

كلما احتسيت الأنغام في الظهيرة

مع كأس الشاي

تذكرت انطرابك

(٨)

الحنين يفتح

في قلبي آلاف الممرات الموحشة

والأبواب المغلقة

تقذفني إلى الشوارع

دون وجهة

(٩)

أمشي وأتعثر

بك أيها الوطن

(١٠)

يتداعى شجن دفين

تتقاطر مشاهد

وصور قديمة:

كهضبة بيتنا

وشجرة الدار المعمرة

مهاجل النسوة

وحشة الليل أسفل الجبل

ونباح لا يتوقف على مداخل القرى

وحكايات لا أجد لمن أحكيها.

(١١)

كالعادة

أعود إلى غرفتي منحنيًا

بعد الثانية عشرة

بقامتي البائسة..

كلما التفت إلى الخلف

لسعت روحي الكآبة

وألجمني الصمت..

بصور داكنة..

أرمي جسدي

إلى سرير موحش

لا يقدر على احتوائي

(١٢)

قصيدة واحدة

تختصر كل هذا الوجع الموغل

تُخلّصني من هذا الغبار العالق..

يمكنني بعدها فقط

مغادرة مهنة الكتابة

(١٣)

اعذروا سوداوية حروفي

فأنا انعكاس واقع منتج

لحالات التشاؤم والعقد

(١٤)

أكون أجمل

عندما أطالع مرآتي

وأنا حزين

(١٥)

اعذريني إن صرتُ ثقيل الدم

وغابت عني النكات اللطيفة..

منذ الحرب،

أثقلني الهم

وخارت روحي

(١٦)

مطرقًا

أستحث الأفكار..

بينما الأحداث الدسمة

عند العرب

تتغذى منها الأقلام والقرائح!

(١٧)

كلماته المهزومة في الأعماق

أحدثت هزةً

لا أظنها ستنتهي.

وأنا لم أرَ

تراخيه من قبل..

كلما لمحت صخرة

في وجه الريح

والأمواج، تذكرت شموخه.

في أيلول

(١)

تزرعين النرجس

على طول هذا المدى

بالضحكات

وتملئين الفضاء

بالطيور والأنجم

(٢)

تعالي نتقاسم

هذا المساء بالقبل..

نذهب إلى الجنون

مشيًا على الأحلام

(٣)

تعرّي كالبرق

من ثياب الظلمة

حطّمي أغلالك البدائية..

عندي ما يمنحك كل الحصانة

(٤)

في أيلول

أنا مشتاق إلى أحضانك

وحاجتي تزداد

إلى العشب والمطر

(٥)

تعالي نُشعل باللقاء

فتيل حبنا المنطفئ..

نسرج بالضحكات

سماء ليلنا العابس

(٦)

كان بنيِّتي

أن أحدّثك

هذه الليلة

عن متاعبي الثقيلة..

أفضي بمواجعي

إلى أحضانك

وأحزاني التي لا تحتمل

في هذا البعد..

أحكي لك عن قساوة اغترابي

دون توقف.

هذا النهار

(١)

سأجلس إليك

بكامل ابتسامتي

ثمة فرح

لن أبوح به لغيرك..

رغم أوجاع الوطن

سأمرح قليلاً..

(٢)

بعدما

شحنت روحي

بالطاقة الكافية

سأبقى

على مدار الساعة

أوزع البسمة..

سأمضي إلى العمل

بقلب بشوش

لا شك أن النهار

سيكون كثير المكاسب

(٣)

هذه الحرب ستنتهي

وسنعود نغني

كالعصافير

وندب كالنمل.

من سيأخذ بيدي

(١)

أريد السفر

إلى وجهة

لا أعرف لها مرفأ

ودروب لم تسلكها أقدامي

(٢)

في الضفة الأخرى؟

ثمة وردة وقصيدة وحمامة واعدتها

(٣)

ماذا سأصنع

بحزم القصائد

المحشوة بها جيوبي

وتاريخي الذي

أبكاني وأطرب؟

الفنان

(١)

الشبابيك التي فتحتها

أزاميل الكتب

على الضوء والألوان

في أبراج رأسه..

يتمنى لو يستبدلها،

لحساسية حواسه المفرطة

بنوافذ عمياء

(٢)

يسألونه: ماذا جنيت

من مطاردة الأحرف

واصطياد الكلمات؟

وهم يدركون

ما هو فيه من ثراء

أمام ضحالة عقولهم!

(٣)

ما يكتبه لا يكفل

موردًا ماديًا شحيحًا

أو وجبةَ عيشٍ واحدة

على مدى عشق القصيدة..

بمزاج الفنان، الذي لا يثبت

على لون أو طقس..

لا يقايض على أي نص

لا يرتقي إلى الغاية المنشودة.

في دروب الشوك

عفوًا.. أمي

إن بعدت

وأنت أيضًا يا أبي..

وأنا المشرد

منذ غادرتُ مشيمتي

في عصر ذاك اليوم

من شهر أيلول

والسماء تمطر بغزارة

والسنابل المثقلة بالحب

تهاجمها العصافير

الكثيرة حول دارنا

التي حدثتيني عنها

يا أمي في الليالي القليلة

إلى حضنك..

عندما كان يخيفني

عواء الكلاب في الخارج

وصوت البوم

على الشجرة المعمرة

وخربشات القطط

في الغرفة المظلمة..

وكيف فرح أبي عند ولادتي

وابتهج البيت

وتكدَّر الأقارب..

وكيف ذهبتُ يتيمًا

بمفردي في دروب الشوك.

إلى حيث المطر

(١)

وسط نشرات الحرب

ونعي القتلى

لم أعد أقرأ

قصائد الحب

(٢)

الأيام متشابهة..

سأبتكر يومًا جديدًا..

هذا الفجر

سأفتح أذني

على الموسيقى

(٣)

سأترك

غبار الساسة..

إلى حيث المطر

أنزِّه حرفي في حدائق الشعر

أبحث عن حبيبة

لها أوصاف القصيدة.

مُجهد

متعبًا ألوذ

إلى ركن صومعتي

أغوص في خبايا الأعماق

أستجلب ما التقطته العين

وما عَلق بالشعور

في ساعات الأيام الرتيبة..

أحوم كنحلة محبوسة

في زجاجة فارغة

لا تهتدي إلى مخرج

فتسقط مجهدةً

في المحاولة البائسة..

أحرق سجائري

بشراهة الثمل

أقفز بالخيال المجهد

في بحيرة البجع

أتكئ على شواطئ يضربها المد

أرمي صنّارتي

لعلّي أصطاد فرحةً عابرة.

الخلاص

تعالي نبني

من خيوط الضوء عشًا

على نجمة قريبة

من منزل القمر

حيث أشجار الفضاء البلورية

والماء الصافي المعتق

في أثداء السحاب

والغيوم البيضاء الغافية..

تعالي نركب عربة الحب

نصعد إلى الأعلى

فهذه الأرض

لم تعد صالحة لزرع الود

والأرجاء ضاقت

بالطقوس الحميمة..

خذي بتلابيب

هذا القلب

الفاقد لمخزون الصبر

في سفره إلى الخلاص..

أسئلة

(١)

ما هذا البياض المختلط بالسواد

والغث المتداخل في الثمين

وسط ليل المجهول الأعمى

وآلاف الأسئلة اللحوحة؟!

(٢)

كيف لي أن أطلق الغناء

من حنجرة مقطوعة الأوتار

وأنسج من الحرف

نشيدًا للأفراح

والصوت تصدمه المخاوف!

(٣)

لماذا كلما حاولت

غرس شتلات الفرح في القلوب الجرداء

أكلتها حشرات الكراهية!

(٤)

هل من فسحة

وردية اللّون..

حريرية الملمس

بعيدًا عن الشوك المزروع

عند عتبة كل ابتسامة؟

(٥)

من يعطي لهذا القلب

مكانًا لجناحيه

يتسع للطيران عاليًا

دون بنادق صيد

وفخاخ مترصدة

بكل طائر حر؟

(٦)

أعليَّ أن أداري

التنهدات الحارقة

وأكتم فيض الاحتجاج الجارف

أمام الأنذال اللدودين

وأموت شهيد صمتي

وكبريائي العنيد؟

بين حضنك والقصيدة

يا ملهمة القلب

وقضيته الأولى

دعيني أهرب

من غُثاء السياسة وزبدها المتزايد

والتشدق بالوطنية دون حياء

والكذب الجارح من الأصدقاء

وحسد الأقارب..

دعيني أسافر من كل هذا الخراب

بابتسامة صافية إلى الورد

وتقصّي أخبار العصافير

والجلوس إلى الحَمَام

والذهاب في الحقول الخضراء

مع مشيتك المتثنية..

أنتظر بشغف العاشق نزول المطر.

أحتفل مع الفراشات بمجيء الربيع.

أنتشي مع الأرض بعودة نيسان

وأتنقل بحرية

ما بين حضنك والقصيدة.

اجترار

سيعود إلى أقصى نقطة

من الألم في مساحة عمره اليتيم

إلى بداية خط امتداده البائس

إلى لحظة السقوط

في هاوية شقائه الأبدي..

حين غادر مشيمة تمنى أن يكون هي

حتى يكون خلاصه..

سيجتر سيرةً مرت بها طفولته

في محطات له في كل واحدة منها

نصيبٌ من العذاب المتفاوت

وشحة الفرح الضنين..

سيقف على عهد مهده البعيد

متذكرًا وجه أمٍّ لم يكد يحفظ ملامحه

في ذاكرته البكر، حتى أفقده إياه

نزقُ أبٍ عشق تغيير الأسِرّة!

سيستعيد قمعًا عاشه عقده الأول

على يد وحشية أدمنت تعذيبه بأوامر

كلما امتنع عن تنفيذها قامت قيامته..

سيستدعي مذاق مرارة الحرمان

واستمتاع غيره من الصبيان

وحسرة فقدان حرية اللعب..

كوجبة غذائية كانت تغنيه عن الطعام..

وليل صراخ أخيه الرضيع

الفاقد لبن أمه ودفء صدرها

وكيف شاطره نزيف البكاء المبكر

وكيف رعاه. كونه يكبره بالفقد

على مدى اليتم الطويل.

استحالة

ليتني أنام مبكرًا

وأصحو مبكرًا وأذهب إلى العمل

بشهيةٍ نهمة

وأكف عن شراء الصحف والمجلات

بمواد مواضيعها الرديئة

وأُقلع عن ترقب البرامج الثقافية الشحيحة

وسط سيل القنوات الغث

ومتابعة الأخبار في الجزيرة والعربية

على مدار الساعة

وأقلّلُ من صداع رأسي..

ولا ألتفتُ في عصر الإنترنت

والهواتف الذكية

إلى المكتبة القريبة

التي استنفدتْ جيوبي وأثرتْ عقلي

بالكثير من الهلوسة..

ولا أجلس للنقاش كل يوم

مع الأصدقاء اللدودين الذين تعودوا يأتونني

بالمواضيع الطازجة والنقاشات الساخنة

والخوض في غمارها دون توقف..

وأمنع نفسي المدمنة ليلة واحدة

حتى أخفف من الإجهاد الذي يلوح

كلما وقعتْ عيني على وجهي في المرآة

عن فتح جهازي المحمول

والدخول في متاهات عالمه

حتى الفجر..

وأكون كهذا القريب الذي يأتيني أحيانًا للنوم

ولا يكاد ينطرح وهو يستمع لحديثي

على فراشه حتى أكتشف أنني

كنتُ أتحدث إلى نائم قد ذهبَ في سبات

من وقت طويل!

وعند استيقاظه في كل مرة

يجدني ما زلت عاكفًا على السهر.

أجبني

ماذا تبقى..

غير ضوء الحرف

في هذا الخراب..

يا صقيع الموت أجبني

يا وجه النكايات..

قُتلَ الناي

وأُحرقتْ أنغام الكمان..

سديمٌ وعصفٌ شديد

متخمٌ بالجرح

ذاك الوطن المنسي

في الأغاني

في مواويل العصافير

في اخضرار الربى

في دموع الغيث

مريض له لون الموت

ورائحة الكفن.

مسخ

حروفي لم تعد

تنبض بالشعر

والقصور

الشاخصة إلى السماء

تجلب الضجر

والواجهات الزجاجية

تخنق الأنفاس..

وسط الكتل الأسمنتية

لا خيال

ولا شجر مورق بالفن

وأنا المجبول

على الموسيقى

وعزف المطر

والأنثى تمشّط

شوارع قلبي

بالخصر المياس

والردف المهتز.

في المقهى

لم يعد يستنطقني

المساء، بقبعتي

وشالي الملفوف

حول العنق..

في المقهى

مع نارجيلتي

والمزاج العالي

يرشح بالضحك

والنكات تنهال

كلما غرق الأصدقاء

في الشرود

وساد حرق السجائر

بشراهة، واشتعل الجمر.

للوجع مكانٌ في عينيه

في الوطن

يبحث عن وطن

يمد الجراح المعتقة

بالمواجع

يتلمس الصباح

على عتبات مقدسة

يغازل وميض الحلم

في حُجب غامضة

يجتلي وطنًا للغد..

في وطنه

المنذور للعذاب..

من يمد يده لعثرته

ووجهه المعفر؟

للوجع مكانٌ

في عينيه

وخباءٌ في قلبه

ولغنائه المحبوس

في حنجرته

صوته المنكسر.

طقوس

امنحيني

نصًا فريدًا أيتها الليلة

أنفش به ريشي

بين طواويس الشعراء..

أحضرت ما يلزم الشعر

من طقوس

والليل يركض

بخطى واسعة..

أخاف يفاجئني الفجر

دون قصيدة فاتنة

أعود ظافرًا بها إلى فراشي.

المجابهة

لا صديق

لا امرأة

لا علبة سجائر..

في العيد..

الأسى يشن حربًا

تخترق الجهات

والرأس المثقل

في الريح

لا يستطيع المجابهة.

اعتراف

إذا كان الشاعر التشيلي

(بابلو نيرودا)

قد قال على وجه مذكراته:

أعترف بأني عشت..

فأنا أعترف بأن قلبي

أحب وتسامح كثيرًا..

مقابل هذا التبلد!

طبعي الغضب والمكاشفة والعتاب

لمن أحب

والكثير من العيوب التي تُغفر

والشكوك التي تشبه

شكوك (ديكارت) في عقلانيته

وسط رصاص الجبن المصوّب

إلى ظهري، والأقاويل التي تتكاثر

كالنمل والذباب

في مستنقعات الجهل المحيطة..

واستنكاري المزعج أستقيه

كتابًا بعد كتاب

وحبّي للحياة مع كل المفارقات.

وحظي المنحوس أنني لم أسقط

إلى هذا الحد من الغدر والخذلان

كما سقط (لوركا)

فيرفع ذكري ويخلّد.

سيزيف

(١)

ماذا بعد أن أوصدتُ نوافذي

في وجه رياحك المسمومة

واعتصمت بالحذر؟

(٢)

ماذا بعد أن ذهبتُ

إلى دهاليز الاختباء

لأنجو بضعفي

بعد إهداري سنوات التوسل

وقربان الرجاء على مذبح قلبك

حاملاً في جعبتي وجعي واحتجاجي!

(٣)

كلما سقطتُ وتعثرتُ

في الطريق إلى قمتك

يدفعني المسير

وكلما أوشكت على الوصول

انزلقتُ وتدحرجت..

(٤)

أيتها السماء..

أأكون من المغضوب عليهم

حين اعتنقت الغرام مذهبًا

أأكون اقترفت سذاجة

وحماقة غير مغفورة؟

(٥)

أخبريني أيتها الحُجب

عن أسرار العشق

واكشفي لي

طلاسم المنتظر

علّني أتجرد من أوهامي

وظنوني المفترسة

(٦)

تأخذني دوامتك

في هاوية الحيرة

مقطوع الأنفاس..

مخنوق الشعور..

نحو الأعمق والأعمق.

الصديق

ماذا لو أتتني أخبار مقتله..

أو وقعت عيني

على جثته ممددةً..

في صفحات "الفيس"..

أهرمني النعي:

جثث أطفال.. شباب.. شيوخ

عصافير.. أشجار.. حدائق ممزقة..

القادم مجهول..

ماذا سيكون حال أهله..

مستقبل أولاده الخمسة؟

سيغيب بمقالبه البهلوانية

والكوميدية الظريفة

للضحك والتندر..

عند الاسترجاع مع الأصدقاء..

جرأته المعهودة..

شجاعته المقتحمة..

حين يتردد البعض

ويفر الآخر ويُحجم..

عند رجوعي لن أجده..

لا أتصور مثل هذا الفراغ

والفقدان الواسع..

عندما قلت له:

هذه الحرب قذرة لم يصغِ

ذهب إلى الجبهة

وقلب أسرته الوحيدة

يأكله الخوف.. دون عائل..

ماذا عن بناته الصغيرات..

وزوجته اليتيمة ستصير أرملة

فوق هذا.. ولا قريب..

وأنا هل سأكتفي بإضافة قصائد رثائية

إلى رصيدي البكائي!

المُبعد

أيها المساء الصديق

ضمّني إلى صدرك

يتيمًا فاقدًا أبويه

خذني إليك نجمًا مسافرًا

وسحابةً ممطرةً بالحزن..

أنا الغريب المُبعد

لا وطن لي ولا حضن

في ليالي شتائك الحزينة..

أنهكني الغياب وانتظار القصيدة

والشوق إلى الحبيبة

والأولاد الذين تركتهم خلفي

وماذا سأكتب اليوم، وفي الغد وبعد غد؟

أنا حزين جدًا ووجعي أبدي..

الوطن الذي أشتاقه

مذبوح من رأسه حتى قدميه

تنهش في لحمه ذئاب الساسة

واللصوص.. من سرقوا منا الحياة

ووهبونا المنافي وطنًا..

أنا مجهد..

في نهاري أجتر الذكريات الحميمة

وفي ليلي أبكي أيامي المهدورة بعيدًا..

أتلمس الدفء المفقود والجراح النازفة

أرفع رأسي إلى السماء

ماذا تبقى لي من العمر لأعيشه

في الأحلام

وتهجّي قصائد بودلير

والماغوط القريبة إلى قلبي..

وقراءة رواية زوربا أكثر من مرة..

واشتهاء صدر أي امرأة عابرة

مكتنز بالشهوة

ولا أستغفر الله كثيرًا من هذه النزوات.

أرض الدهشة

لم يُصدّق بأن القدر يبتسم ويفتح ذراعيه

ومستحيل الأمس يغدو في متناول اللهفة

والشجن والصبر على تذكرة اللقاء وتأشيرة

النفاذ إلى جنةٍ عجز عن ثمارها، وأقدار شاهقة

لواقع منيع..

على أرض الدهشة

مع حضورها الطاغي وجهًا لوجه

بينهما يقف الصمت البليغ

وآلاف الأسئلة الهرمة

وحصاد الوجع المتراكم لآلام الغياب..

كيف له أن يجتاز هيبة اللحظة

والذهول المرتجف على الشفاه المتيبسة؟

من أين يبدأ؟ وكيف ينتهي؟

أي سيناريوهات صالحة للقاء تراجيدي هكذا

وشغف منتظر فرصة ماثلة وهبتها الأقدار؟

للوقت مذاق لم يعرف طعمه من قبل

كل شيء ينمو..

يورق.. يخضر.. يزدهر

زغاريدَ تُسمع.. أمطارًا تهطل

طبولا تدق.. كرنفالا يتمايل..

له وزن ريشة.. وصفاء المرايا.

له فرحة عرض هذي السماء.

له ابتسام الوجود ونقاء البياض

على إثر النعيم الذي يستضيفه.

شاعر

واقفٌ على رصيف الشعر عاري القلب.. حافي الروح

يأخذ من العصر: الحداثة

ومن الحياة: التجربة

ومن الجديد: التفرد

ومن الفراش: الهشاشة

ومن المطر: الموسيقى

ومن الطبيعة: الدهشة

ومن البرق: وميض المعنى

ومن السحاب: نسيج ثوب القصيدة.

ذاكرة

ليس لي

غير ذاكرة أثرية

أتسكع في شوارعها العتيقة

هنا كان لي صديق

هنا كان لي صديقة

هنا كان لي محاولة كتابة قصيدة

أمي في صباحات بيتنا المعدودة

أشيائي.. طفولتي اليتيمة

أيام حياتي

جدتي والحكايات..

والألعاب القديمة

تلك الطفلة

وكيف صارت عند مراهقتي

أول وآخر حبيبة.

مشهد

في كل مساء

لا شيء غير الصمت

وفم الوحشة الفاغر..

ألمٌ تتغمس خناجره

في خاصرة الوقت

وصراخ وجع

يصاحب الساعات

في وجوه باهتة لغرباء كثر.

في الشق الثاني

من المشهد:

عربات فارهة

تلمع من مقاعدها

وجوه النعمة.

بذخ فاحش.. تتكوم جثثه

عند براميل القمامة..

عافته القطط والهوام.

أرق

أنا وحيد،

والسهر يأكل

من حشاشتي..

أريد أن أنام..

من يمنحني رأسًا بلا خواطر

وعيونًا غافية

وقلبًا غير مُصطخب

ووسادةً خالية

من الوساوس.

حلم

يا أخت القمر وجارة النجوم

المرتحلة على صهوة الغمام

الناثرة للضوء المرتدية ثياب الملائكة

المكللة بزهور الغابات

رفيقة السناجب

واحة الفراشات..

حديقة الطيور..

حلمي الذي لم أطُلْه

وقصيدتي التي لم أكتبها بعد.

مكالمة

لم أتوقع

مفاجأةً

بهذه الرقة..

أعادت لقلبي

أنغامه القديمة..

أفتش عن التعابير

من شدة الدهشة.

أسأل نفسي:

هل أنا في حقيقة؟

والفرحة

تغمر روحي

بعد الأيام العجاف.

تصوّف

ما الذي أصنعه

لأقدمه بين يديك

شهادةً كاملةً

على جنوني..

ما الذي أبذله

لتأكيد طاعتي..

وأنا المتصوف في محرابك..

زمنٌ طويل

وأنا أصنع أسطورتك

انظري كم استهلكت

من العمر

لم تنضب لهفتي..

قبل الزوال

دعيني أتوهج.

امنحيني بهجةً واحدة.

ظلمة

(١)

ثمة نجمة مثلي

أضاعت مدارها

في قلب هذا الليل

(٢)

أيتها العصافير.. ماذا عن أعشاشك

وعن جذوع الأشجار

في تكالب الحطابين؟

(٣)

لا أدري

عن تلك الضحكة..

هل ما زالت

توزّع الفرح

وتمنح الضوء؟

معراج

كانت تصعد

الطريق المتعرج

إلى الأعلى كفراشة..

ترمقني بين الخطوة

والخطوة.

وأنا المفتون،

أتابع معراجها

الساحر بنشوة..

يا الله.. أي غبطة

تطير بي كانت

وسط ألوان الطبيعة

المتماوجة

تحت المطر الخفيف

ودثار السحاب الأبيض

في ذلك الفصل الربيعي

من قلبي المتفتح.

أمنية

أريد أمسيةً

لا غيري فيها شاعر..

ولا جمهور إلا أنتِ.

وطن آخر

لا تحدثيني

عن وطن

تقاسمه اللصوص..

حدثيني عن قلب

لا يشاركني فيه أحد.

خنجر

عفوًا

وأنا مطعون بالوطن

لا أستطيع الابتسام.

مخاوف

هذا السقف؟

يتسع ويضيق

وبابي مغلق

ماذا لو أفشى

بعاداتي السرية؟

انقلاب

كل بداية عام

أكتب لكِ قصيدة..

هذا العام سأحرق

كل ما كتبت

لكِ من قصائد!

تفاؤل

أعليّ أن أبدأ

يومي بالوجع!

لماذا لا أكون

كهذه العصافير

المبتهجة بالخارج؟

موطن

لو كنت عصفورًا

لجعلت موطني

على أقرب

شجرة لمنزلك

واتخذتُ نافذتك

مكانًا لغنائي.

احتضان

سأفتح أبوابي

على الجنوب

ونوافذي إلى الشمال

ثمة يمامة

همَّت إلى العشب

والمطر.

تحدٍّ

القيود التي

تحتل أقدام الحرية

لن تمنع الأفكار

من التفريخ

ولن تحد النظر

بعين زرقاء اليمامة.

نخلة

كلما تأملت

هذه النخلة الممشوقة

تراءت لي قامتك.

شتاء

من يوقف

الورق المتساقط

من أشجار شتائي

ويعيد إليَّ الدفء؟

كم يوجعني الليل

وتجلدني الوحشة.

بكاء

زهرة الحزن

التي غرسناها

أثمرت هذا الأصيل الباكي!

وحدة

أعود

لا أجد من يتلقفني

سوى جدران باردة

وملابس خرساء!

فتنة

تستدرجني

إلى الذوبان..

أطير بأجنحة الموسيقى.

المساء يبدو لازورديًا.

فطنة

وكأنك تدركين

عند محادثتي

بأنني ممن

يقدّسون الكلمة

ويستعذبونها

وإنها المفتاح

لشفرة قلبي.

ليل

كيف أسرج

قناديلي المطفأة

وأحيل ليلي

بحيرةً من الضوء؟

مخاطرة

أجتر لحظات

لقائنا الخطير

أتفحص كل ما مر بيننا،

وما لم يمر..

وسط أزيز الرصاص

المخترق أحشاء المدينة.

انتظار

ما فات أيعود لنعيشه؟!

قبل الرحيل..

لا شيء سوى الخيبات

مصير أي حلم يرفُ

وأي أمنية تولد!

شغف

أعود محملاً

بأكياس الشجن..

أتحسس مقدار اللهفة.

مفارقة

سأبقى أتعذب

وأعود لأتعافى

وأذهب من جديد

نحو ألم آخر!

تهوية

في فضاء مختنق

أتنفس برئة القصيدة.

فهرس

إهداء	٥
مدخل	٧
لوجه الفرح	٩
في المساء	١١
ليل العيد	١٣
متسول	١٥
هوامش	١٧
في أيلول	٢٩
هذا النهار	٣٣
من سيأخذ بيدي	٣٧
الفنان	٣٩
في دروب الشوك	٤٣
إلى حيث المطر	٤٧
مجهد	٤٩
الخلاص	٥١
أسئلة	٥٣
بين حضنك والقصيدة	٥٧
اجترار	٥٩
استحالة	٦٣
أجبني	٦٧
مسخ	٦٩
في المقهى	٧١
للوجه مكانٌ في عينيه	٧٣
طقوس	٧٥
المجابهة	٧٧
اعتراف	٧٩
سيزيف	٨٣
الصديق	٨٧
المُبعد	٩١
أرض الدهشة	٩٥
شاعر	٩٩
ذاكرة	١٠١
مشهد	١٠٣
أرق	١٠٥
حلم	١٠٧
مكالمة	١٠٩
تصوف	١١١
وطن آخر	١١٢
ظلمة	١١٣

معراج	١١٥
أمنية	١١٧
وطن آخر	١١٩
خنجر	١٢١
مخاوف	١٢٣
انقلاب	١٢٥
تفاؤل	١٢٧
موطن	١٢٩
احتضان	١٣١
تحدٍ	١٣٣
نخلة	١٣٥
شتاء	١٣٧
بكاء	١٣٩
وحدة	١٤١
فتنة	١٤٣
فطنة	١٤٥
ليل	١٤٧
مخاطرة	١٤٩
انتظار	١٥١
شغف	١٥٣
مفارقة	١٥٥
تهوية	١٥٧